الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور – الجلفة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قســـم العـــلوم الإنسانيـــة

دروس موجهة + محاضرات

خاصة بمستوى السنة أولى علوم إنسانية (جذع مشترك)

مقياس تاريخ الحضارات العام

واقع وتطور المظهر التعليمي في الحضارات القديمة

– نموذج اللغة والكتابة في الحضارة المصرية–

إعداد: الأستاذ: كاكي محمد

2022/2021

المقدمــة

في هذه الدراسة سأتعرض لدراسة موضوع تاريخي يتعلق بقضية واقع وتطور المظهر التعليمي في الحضارات القديمة – نموذج اللغة والكتابة في الحضارة المصرية- ، حيث سأقدم الموضوع الذي يبدو مهما من حيث تعرضه لقضايا التربية ومؤسسات التعليم في مصر القديمة، وبالتالي فإن إجابتي عن هذا الإشكال سيعطي المزيد من الفائدة والمعلومات القيمة التي تضيف لواقعنا التربوي والتعليمي أهمية من حيث أبعادها التاريخية، فالتربية في الحضارات القديمة أخذت مكانة لدرجة التقديس، وذلك لاهتمام الملوك والعامة بأهميتها ولارتباطها بشؤون حياتهم الدينية والفكرية، كما حدث في دولة مصر القديمة، ويتجلى ذلك من خلال احترام الفراعنة للعلم والاهتمام به، ولدور المدارس النظامية، وما تعلق بمختلف قضايا التربية والتعليم كتدرج التمدرس وفقا للسن لدى المتعلمين، والمناهج التعليمية، وتربية الأبناء على مبادئ الانضباط، والاحترام، واختيار مواد التدريس المقررة، إضافة لطرق التعليم، وأدوات الكتابة..

وسأبين مدى حرص الفراعنة على تعليم وتدريب الأطفال لدى جميع الطبقات، ووضع الحكماء ورجال التعليم لمناهج وبرامج التعليم المصري المرتبط بحماية وخدمة الآلهة، والملوك، والدولة، والعلوم، ولذا فقد فدسوا مكانة المتعلمين الاجتماعية، وأولوا العناية اللازمة للكاتب، في المجتمع المصري، وخصصوا أنواعا من المدارس لمدارس الكهنة المميزة، وفرضوا النظام والطاعة في المدارس،إضافة لمدارس التكوين والتوظيف الخاصة بالنخبة، واهتموا بوسائل وأدوات التعليم لاستعمال الورق وأدوات الكتابة، واختيار حبر الكتابة والقلم والألوان..

كما سأشير في دراستي لأهمية اللغة والكتابة ي منظومة التعليم المصري القديم، وذلك من حيث التركيز على أهمية اللغة وجوانبها النحوية والصرفية والصوتية..، وبالأخص الاهتمام بالكتابة ورسمها ونحتها ونقشها على مختلف الأغراض وارتباطها بالعبادة وذلك ما يبين تطورها عند قدماء المصريين لأربعة مراحل متمثلة في كل من: الكتابة الهيروغليفية، والكتابة الهيراطيقية، والكتابة الديموطيقية، ثم الكتابة القبطية..

الموضــوع

واقع وتطور المظهر التعليمي في الحضارات القديمة

– نموذج اللغة والكتابة في الحضارة المصرية–

أولا

التربية ومؤسسات وأهمية التعليم في مصر القديمة

1) التربية في الحضارات القديمة:

يعتبر الإغريق أن المصريين معلمين لهم في العلوم بصفة عامة والدين بصفة خاصة، ويعترف كل من فيثاغورث، وأفلاطون، بأنهم مدينون بأعظم نظرياتهم إلى مصر القديمة، وقد قال العلماء الإغريق وذكروا في مصنفاتهم كالإلياذة، والأوديسا، والمشرع سيولون الذي نقل**فن الهندسة** (1) إلى الإغريق أن مصر تعتبر معهد الرقى وكنز الحضارة..

2) التربية في الحضارات القديمة:

بدأ تاريخ الحضارة في الشرق الأوسط حوالي 3000 سنة قبل الميلاد، بينما بدأت حضارة شمال الصين حوالي

ألف عام ونصف، ازدهرت حضارة بلاد ما بين النهرين والمصريين في نفس الوقت تقريبًا خلال المرحلة الحضارية الأولى (3000–1500ق.م) على الرغم من اختلاف هذه الحضارات، إلا أنها تشاركت في الإنجازات الأدبية الضخمة، إلا أن الحاجة إلى إدامة هذه الحضارات المتقدمة للغاية جعلت الكتابة ورسمية.

3) في مصر القديمـــة:

أ) الكهنة يحتكرون ويديرون التعليم:

تم الحفاظ على الثقافة والتعليم المصريين والسيطرة عليها بشكل رئيسي من قبل الكهنة، وهي النخبة الفكرية القوية في الثيوقراطية المصرية التي كانت بمثابة الحصن السياسي من خلال منع التنوع الثقافي(2).

ب) المدارس الرسمية وتنوع مواد التدريس:

العلوم الإنسانية وكذلك المواد العملية مثل العلوم والطب والرياضيات والهندسة كانت في أيدي الكهنة الذين يدرسون في المدارس الرسمية(3).

ج) استغلال وتوظيف المواد الحرفية في الميدان:

تم نقل المهارات المهنية المتعلقة بمجالات مثل الهندسة المعمارية والهندسة والنحت بشكل عام خارج سياق التعليم الرسمـــي.

4) احترام الفراعنة للعلم والاهتمام به:

أ) تعاليم خيتي داوف ونصائحه العلمية:

قال خيتي داوف لإبنه بيبي 1300ق.م: (لا شيء يعلو على الكتب، الإنسان الذي يسير وراء غيره لا يُصيب نجاحًا، ليتني أجعلك تحب الكتب، لا توجد مهنة من غير رئيس لها إلا مهنة الكاتب هو رئيس نفسه، إنّ يومًا تقضيه في المدرسة يعود عليك بالنفع)، جزء من تعاليم خيتي دواوف لإبنه بيبي 1300 ق.م في مصر القديمة، يدل على مدى اهتمام الفراعنة بالعلم، ويرجع بعض علماء الآثار تاريخ كتابتها إلى الدولة المصرية الوسطى بين 2025 و 1700 قبل الميلاد. ولكن النص عاش حيث كان يتناقل عبر العصور وينقل كتابة ووجده العلماء في بردية ساليرالثانية ن ومهي مكتوبة خلال الأسرة المصرية التاسعة عشر ، وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني، والنص كاملاً، موجود في بردية رثة للغاية من عصر الأسرة التاسعة عشرة، محفوظة في المتحف البريطاني. بالإضافة إلى عدة أجزاء من برديات في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر وعدة أماكن أخرى. كانت تعاليم دوا-خيتي أحد أكثر النصوص نسخًا بواسطة الطلاب خلال حقبة الرعامسة (4).

ب) خيتي داوف يسمو بقيمة العلم ويهيب بالكتاب والمعمين:

تعاليم دوا-خيتي وتسمى أيضا مساوئ الحرف، هو أحد أعمال المواعظ في الأدب المصري القديم، يأخذ هذا النص شكل وصايا أو تعاليم، ألفها الكاتب "دوا-خيتي" لابنه بيبي. يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية عشر وهي مكتوبة على4 برديات ولوحتين، ومنها عدد كبير من الشقفات المكتوبة، وتصف تلك التعاليم مزايا وظيفة الكاتب, وتصف مساويء الحرف الأخرى المتعلقة بالعمل اليدوي أو الجسمي الشديد في الحقول وفي وأعمال البناء..

ج) وصايا ومواعظ أمنمحات العلمية: وتصف التعاليم مساوئ عدد من المهن، وتبالغ في تمجيد مزايا مهنة الكاتب، ويعتبر النص عامةً هجاء، على الرغم من أن عالم المصريات "وولفغانغ هيلك" يعتقد أنها تعكس النظرة السلبية لطبقة الكتبة نحو العمال اليدويين (أمنمحات الأول، أول فراعنة الأسرة الثانية عشرة، حكم(1991-1962ق.م)، كان أمنمحات وزيرًا لسلفه أمنتوحتب الرابع، تم أطاح به من السلطة) (5).

5) المدارس النظاميـــة:

طور المصريون نوعين من المدارس النظامية للشباب المتميز تحت إشراف المسؤولين الحكوميين والقساوسة: الأول للكتاب والآخر للمتدربين الكهنة.

6) تدرج التمدرس وفقا للسن (مراحل التعليم):

كان التعليم في مصر القديمة يتم على 3 مراحل، أولها في العمر بين 4 إلى 10 أعوام، وتمثل مرحلة التعليم العام، أما المرحلة الثانية كانت من في الفترة بين 10 إلى 15 عاما وهي مرحلة النسخ، بينما تمثل المرحلة الثالثة التعليم العالي وهي اختيارية وكانت تشمل العديد من العلوم.

أ) المرحلة الأولى: سن الخامسة:

في سن الخامسة، التحق التلاميذ بمدرسة الكتابة واستمروا في دراستهم في القراءة والكتابة حتى سن16 أو 17.

ب) المرحلة الثانية: سن 13، 14:

في سن 13 أو 14، تلقى تلاميذ المدارس أيضًا تدريبات عملية في المكاتب التي كانوا يستعدون لها.

ج) المرحلة الثالثة: سن 17:

بدأ تدريب الكهنوت في كلية المعبد، حيث دخل الأولاد في سن 17 ؛ طول التدريب اعتمادا على متطلبات مختلف المكاتب الكهنوتية.

7) المنهاج، والانضباط، والارتقاء:

ليس من الواضح ما إذا كانت العلوم التطبيقية تشكل جزءًا من المنهج المنظم بشكل منظم لكلية المعبد أم لا.

تم تطبيق الأسلوب الجامد والانضباط الشديد لتحقيق الاتساق في الانتقال الثقافي، لأن الانحراف عن النمط التقليدي للفكر كان ممنوعًا تمامًا.

كان الحفر والحفظ هما الطرق التقليدية المستخدمة، ولكن، كما لوحظ، استخدم المصريون أيضًا طريقة دراسة العمل في المرحلة الأخيرة من تدريب الكتبة.

8) أنواع المـــدارس:

اقتصر التعليم في البداية على تعليم الصغار في القصور الملكية وبيوت النبلاء، ثم توسع المصري القديم في إنشاء المدارس ثم الإدارات التعليمية المختصة بتعليم التجارة والإدارة والتي كان يطلق عليها "مهنية"، إضافة إلى مدارس ملحقة بالجيش لتعليم العلوم العسكرية وفنون القتال، ومدارس تابعة للمعابد لتعليم العلوم الدينية، وأطلق المصريون على المدرسة باللغة الهيروغليفية لفظ "بر – عنخ" وتعني بيت الحياة، وأحيانا يطلق عليها لفظ "عت سبا" وتعني مكان العلم، كما أطلقوا على المدرس لفظ "سباو" وتعني النجم أو المرشد أو الهادي، وفي كل من هذه المدارس يوجد مكتبات يطلق عليها "برن سشو" وتعني بيت المخطوطات، وكانت تحتوي على برديات في كل فروع المعرفة لتكون كتبا ومراجع للدارسين، وكانت الربة الحامية لهذه المكتبات الإلهة "سشات".

9) المناهج التعليميـــة:

اختلفت المناهج التعليمية تبعا للمرحلة الدراسية، ففي المرحلة الأولى يتعلم التلميذ اللغة وقواعدها وطرق كتابتها، ثم يبدأ في مرحلة لاحقة ممارستها عن طريق نسخ الكتب للتدريب على الكتابة وتعلم بعض المعلومات الجغرافية والتاريخية البسيطة، وفي المرحلة الأخيرة يتعلم الطالب التعاليم الدينية، الفنية، والمهنية، وبعض العلوم مثل الجغرافيا والحساب والطب والفلك.

10) المواد (المقاييس) المقررة:

كانت إحدى المواد المقررة هي تعاليم "خيتي دواوف" لابنه "بيبي"، والتي انتشرت في مدارس الأسرة التاسعة عشر عام130 ق.م، وكانت مكتوبة وقتها على "الاستراكات" أو "الشقافات"، ووُجدتْ كاملة في بردتي "ساليه" و"أنسطاسي" الموجودتين بالمتحف البريطاني، حيث كانت تعاليم الحكماء بمثابة كتب للمطالعة، وتم العثور على لوحة محفوظة بمتحف "تورين" من الخشب وكان التلاميذ يتعلمون منها.

11) طريقة التعليـــم:

كان التلاميذ يستخدمون ألواح "الأرتواز" الخشبية للكتابة بالبوص أو الأحجار أو على أوراق البردي، حيث يقوم المعلم بتصحيح الأخطاء ليتعلمها التلميذ بالمداد الأحمر ويقوم بإعادة كتابة الأخطاء ليتعلمها التلميذ الذي غالباً ما يكتب بالمداد الأسود
ودونت إحدى البرديات ملاحظة كتبها معلم لتلميذه، وجاء بها "لقد بلغني أنك أهملتَ دراستك وأنك تتسكع في الطريق، إنّ مثلك مثل المجداف المحطم، انظر إليّ عندما كنتُ صبيًا مثلك لقد مكثتُ في المعبد ثلاثة شهور لا أخرج منه، وعندما خرجتُ تفوقتُ على زملائي في العلم فافعل ما قلت لك"[6].

12) أدوات الكتابـــة:

صنع المصري القديم العديد من أدوات الكتابة لتساعده على التعلم، من هذه الأدوات أوراق البردي التي صنعها من سيقان نبات البردي، استخدم أيضا رقائق الحجر الجيري، أو قطع الفخار المكسور التي تسمى "أوستراكا"، وهناك أيضا الألواح الخشبية، التي كان بالإمكان مسحها وتنظيفها لإعادة استخدامها، حيث تمثل سطحا جيدا للبيانات والحسابات، وكذلك النصوص الأدبية، كما استخدم الفراعنة أقلام البوص ذات النهايات المشقوقة لتعطي خطا أدق أرفع، وهناك ايضا الدواة والمقلمة، والتي كانت تحتوي على حفرتين الأولى للحبر الأحمر ويستعمل في كتابة العناوين، والثانية للحبر الأسود ويستعمل في الكتابة العادية، وبها صندوق مستطيل لحفظ الأقلام[7] (**الشكل.2/المواد**).

13) حرص الفراعنة على تعليم وتدريب الأطفال لدى جميع الطبقات:

إن المصريين القدماء حرصوا على الاهتمام بالتعليم فالآباء بمصر القديمة غرسوا في أبنائهم مختلف المبادئ التربوية، وكان أبناء الفلاحين يتلقون تعليماً رسمياً أدنى يقتصر على كيفية زرع البذور وجني الثمار وجمع المحصول، فيما كان الحرفيون يعلمون أطفالهم مبادئ حرفهم وصناعتهم، أما الطبقة العليا، فقد اعتمدت على مدرسين متخصصين في تعليم أبنائها، وأن أبناء الطبقة المتوسطة كانوا يذهبون إلى المعابد لتلقي تعليمهم تحت رعاية معلم بعينه.

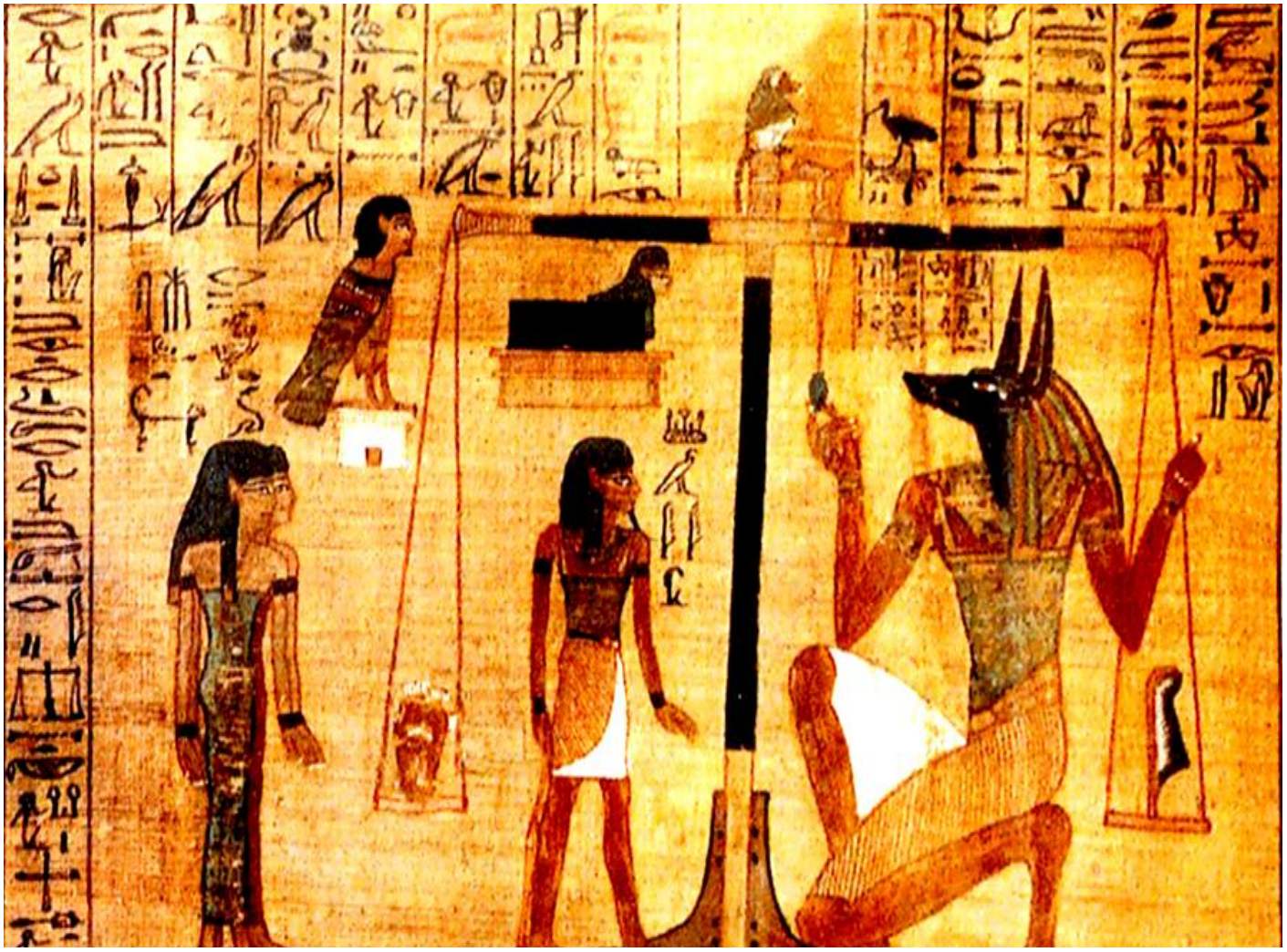

الشكل.2/ المواد: بردية آنى

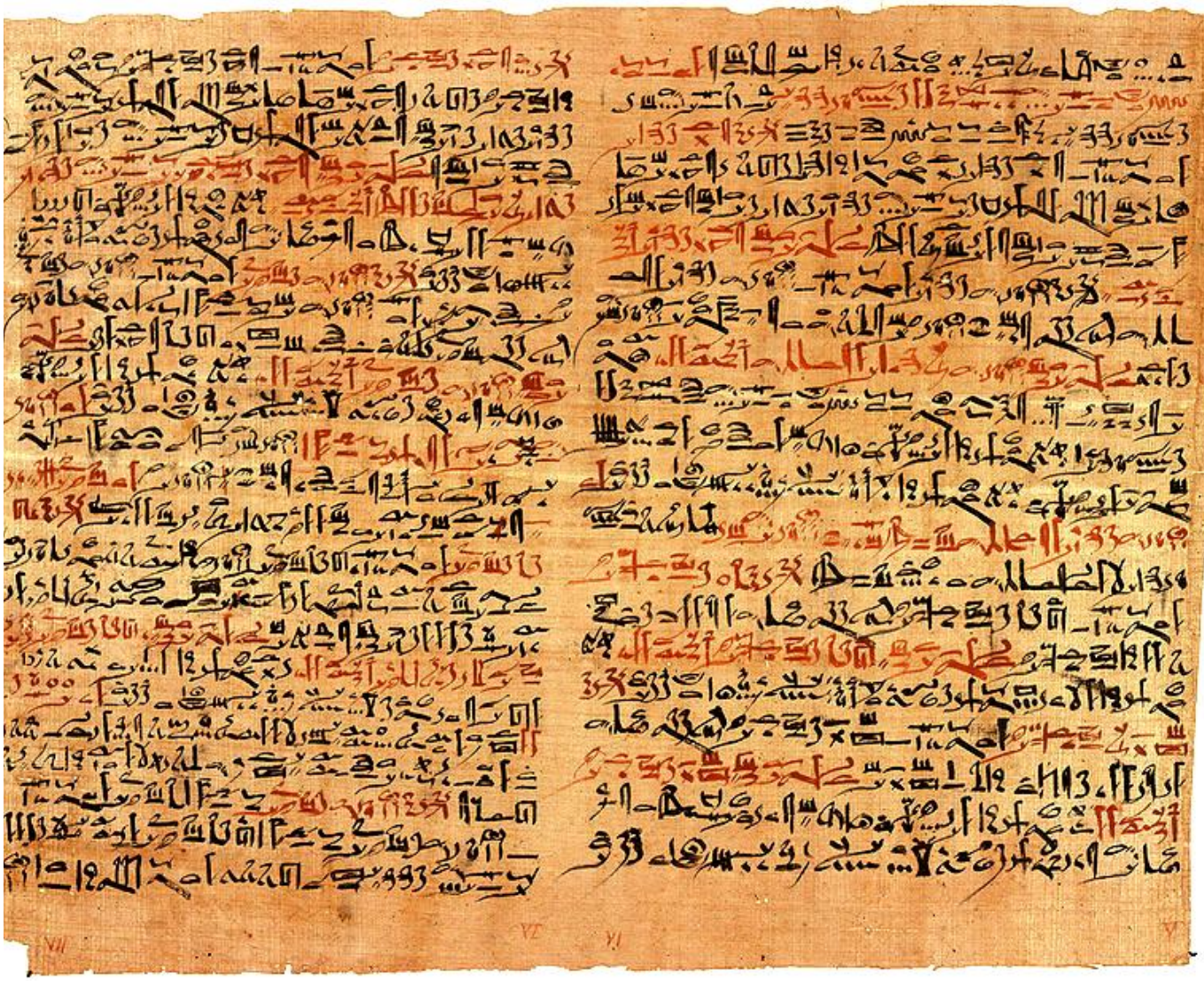

بردية إدوين سميث سميت كذلك نسبة إلى مستكشفها وهي ملف طوله خمسة عشر قدماً، ويرجع تاريخها إلى عام 1600 ق. م قبل الميلاد , ولكنها معتمدة على نصوص تعود إلى عام 3000 قبل الميلاد. وقد اعتبرت هذه البردية أول وثيقة طبية في تاريخ البشرية ومن المحتمل بأن تكون قد كتبت بواسطة الطبيب المصري أمنحوتب، وتصف ثماني وأربعين حالة من حالات الجراحة التطبيقية تختلف من كسر في الجمجمة إلى إصابة النخاع الشوكي. وكل حالة من الحالات الواردة فيها مبحوثة بحثاً دقيقاً في نظام منطقي في عناوين مرتبة من تشخيص إبتدائي مؤقت ، وفحص ، وبحث في الأعراض المشتركة بين أمراض مختلفة ، وتشخيص العلة، والاستدلال بأعراضها على عواقبها وطريقة علاجها، ثم تعليقات على سطح المصطلحات العلمية الواردة فيها وشروح لها. ويشير المؤلف في وضوح لا نجد له مثيلا قبل القرن الثامن عشر الميلادي إلى أن المركز المسيطر على الطرفين السفليين من أطراف الجسم كائن في المخ . ويعتبر المصريون القدماء هم أول من استخدم كلمة الدماغ في كتاباتهم و أول من عرضوا تشريحه. وتكلموا أيضا عن السحايا و السائل الدماغي الشوكي . و أول مرة ظهرت كلمة مكتوبة على ورق البردي في بردية إدوين سميث المصدر: Lewkonia, Ray. “education” The Oxford Companion to Medicine (2001)Oxford Reference Online. Web. Oct. 2011 ; Nunn, John F. "Ancient Egyptian Medicine". Normal, OK: University of Oklahoma Press, 1996; PP. 25-26.

14) مناهج وبرامج التعليم المصري:

شملت المناهج التربية والقراءة والكتابة وحفظ النصوص الأدبية والحكايات، وإعادة كتابة النصوص، وأداء التمارين على ألواح خشبية أو حجرية، واستمر التعليم على نفس النمط حتى مجيئ الإسلام..

15) مكانة المتعلمين الاجتماعيـة:

كان التعليم في مصر القديمة ضرورياً للارتقاء في السلم الاجتماعي، وكان هذا واضحاً من الفجوة القائمة في مصر بين المتعلمين والأميين عبر كل العصور التاريخية، وكان الفنانون والنحاتون من المتعلمين إذ كان عليهم تحويل النصوص المختصرة والمدونة على ورق البردي أو على كسر الفخار إلى كتابة هيروغليفية على جدران المقابر والمعابد ونقشها أيضا على التماثيل، وهو ما يتطلب معرفة ودراية بالكتابتين [8]، وأن غالبية الطبقة البيروقراطية في مصر القديمة كانت تتشكل من الكتبة الذين أسهموا بأدوار بارزة في المشروعات الحكومية،**16) أهمية الكاتب (التعليمية والتربوية) في المجتمع المصري:**

لم يكن موقع الكاتب في المجتمع المصري القديم يقتصر على مهام تدوين النصوص والوثائق فقط، بل بقدر الاهتمام بالتربية الجسمانية للطفل، كان هناك اهتمام بالتربية الروحية والعقلية له كما اتضح من نصائح الحكيم "آني"، ويمكن اعتبار مدرسة "آني" أشبه بروضة أطفال لكن الحقيقة أن الدراسة الجادة لم تكن دائماً تبدأ في هذه السن المبكرة، كما فعل "آني"، فقد كان يتعلم القراءة والكتابة على أيدي والديه قبل دخول المدرسة، وكان الوالدان حريصين على دفع أبنائهما إلى التعليم، ناصحين لهم بأن يصبحوا كُتّابًا وعلى طلب المزيد من العلم وملازمة الكتب، وكان التلاميذ أو الطلبة يبدؤون في تلقي العلم والدراسة عندما يصلون لسن الثالثة عشرة، وحتى التاسعة عشرة وينهلون العلم على أيدي مدرسين قساة.

17) مدارس الكهنة المميزة:

كان الكهنة يلقنون أبناء الأسر الغنية مبادئ العلوم في مدارس ملحقة بالهياكل كما هو الحال في أبرشيات طوائف الكاثوليك الرومان في هذه الأيام، ويطلق أحد الكهنة– وقد كان يشغل المنصب الذي يصح أن نسميه في هذه الأيام وزير المعارف – على نفسه اسم "رئيس الإسطبل الملكي للتعليم"، وقد عثر في خرائب إحدى المدارس التي يبدو أنها كانت جزءاً من بناء الرمسيوم على عدد كبير من المحار لا تزال دروس المعلم القديم ظاهرة عليها، وكان عمل المدرس في تلك الأيام هو تخريج الكتبة للقيام بأعمال الدولة، وكان المدرسون يستحثون تلاميذهم على الإقبال على التعليم بتدبيج المقالات البليغة يشرحون فيها مزاياه. من ذلك ما جاء في إحدى البرديات: "أفرغ قلبك للعلم وأحبه كما تحب أمك ، فلا شيء في العالم يعدل العلم في قيمته". وتقول بردية أخرى: "ليس ثمة وظيفة إلا لها من يسيطر عليها ، لكن العالم وحده هو الذي يحكم نفسه". وكتب أحد المولعين بمطالعة الكتب يقول: "إن من سوء الحظ أن يكون الإنسان جندياً ، وإن حرث الأرض لعمل ممل ، أما السعادة فلا تكون إلا في توجيه القلب إلى الكتب في النهار والقراءة في الليل" [9].

18) مواد التعليم والحكم الأساسية:

وصلت إلينا كراسات من عهد الدولة الحديثة وفيها إصلاح المدرسين لأخطاء التلاميذ يزين هوامشها، وهذه الأخطاء تبلغ من الكثرة حداً يجد فيه تلميذ اليوم كثيراً من السلوى، وكان الإملاء ونقل النصوص أهم طرق التعليم، وكانت هذه الدروس تكتب على الشقف أو على رقائق من حجر الجير، وكان أكثر ما يعلم هو الموضوعات التجارية، وذلك لأن المصريين كانوا أول الأقوام النفعيين، وأعظمهم استمساكاً بالنظرية النفعية، وكانت الفضيلة أهم الموضوعات التي يكتب فيها المعلمون، وكانت مشكلة النظام أهم المشاكل التعليمية في تلك الأيام، كما هي أهم مشاكله في الوقت الحاضر، وقد جاء في إحدى الكراسات: "لا تضع وقتك في التمني، وإلا ساءت عاقبتك، اقرأ بفمك الكتاب الذي بيدك، وخذ النصيحة ممن هو أعلم منك"، ولعل هذه العبارة الأخيرة من أقدم ما عرف من الحكم في أية لغة من اللغـــات (10).

19) النظام والطاعة في المدارس الفرعونية:

كان النظام صارماً يقوم على أبسط المبادئ، وقد جاءت تلك العبارة المنمقة اللفظ في إحدى المخطوطات: "إن للشباب ظهرا، وهو يلتفت للدرس إذا ضرب..، لأن أذني الشاب في ظهره"، وكتب تلميذ إلى مدرس سابق يقول: "لقد ضربت ظهري، فوصل تعليمك إلى أذني"، ومما يدل على أن هذا التدريب الحيواني لم يفلح على الدوام ما جاء في إحدى البرديات التي يأسف فيها مدرس لأن تلاميذه السابقين لا يحبون الكتب بقدر ما يحبون الخمر.

20) مدارس التكوين والتوظيف للنخبة:

لكن عدداً كبيراً من طلبة الهياكل تخرجوا رغم هذا على أيدي الكهنة ودخلوا المدارس العليا الملحقة بمكاتب خزانة الدولة، وفي هذه المدارس، وهي أقدم ما عرف من المدارس التي تعلم نظم الحكم، كان الكتبة يدرسون نظم الإدارة العامة، حتى إذا ما أتموا دراستهم قضوا مدة التمرين عند بعض الموظفين يعلمونهم بكثرة ما يعهدون إليهم من الأعمال، ولعل هذه الطريقة في الحصول على الموظفين العموميين وتدريبهم أفضل من الطريقة التي نتبعها نحن في هذه الأيام طريقة اختيار الموظفين على أساس أقوال الناس فيهم، واستعدادهم للطاعة والخضوع وما يثار حولهم من دعاوى، وعلى هذا النمط أنشأت مصر وبابل في عصر واحد تقريبا أقدم ما عرف من النظم المدرسية في التاريخ. ولم يرق نظام التعليم العام للشبان فيما بعد إلى هذا المستوى الذي بلغه في أيام المصريين الأقدمين إلا في القرن التاسع عشر.

21) استعمال الورق وأدوات الكتابة:

كان يسمح للطالب في الفرق الراقية أن يستعمل الورق- وهو من أهم السلع في التجارة المصرية ومن أعظم النعم الخالدة التي أنعم بها المصريون على العالم. وكانت طريقة صنعه أن تقطع سوق نبات البردي شرائح وتوضع متقاطعة بعضها فوق بعض ثم تضغط ويصنع منها الورق عماد المدنية ، (وأعظمها سخفا). وحسبنا دليلا على حسن صنعه أن ما كتب عليه من المخطوطات منذ خمسة آلاف عام لا يزال حتى الآن باقيا متماسكا سهل القراءة، وكانت الكتب تصنع من الأوراق بضمها إلى بعض وإلصاق الطرف الأيمن من واحدة بالطرف الأيسر من التي تليها، فتكون منها ملفات ما يبلغ طول الواحد منها أحيانا نحو أربعين ياردة، وقلما كانت تزيد على هذا في الطول لأن مصر لم يكن فيها مؤرخون مولعون بالحشو واللغو.

22) حبر الكتابــة والقلم:

كان الفراعنة يصنعون حبرا أسود لا يتلاشى بمزج الصناج والصمغ النباتي بالماء على لوحة من الخشب، أما القلم فكان قطعة بسيطة من الغاب يعالج طرفها ليكون كقلم الرسام، وبهذه الأدوات الحديثة الطراز كان المصريون يكتبون أقدم الآداب..

ثانيـــا

اللغـــة والكتابـــة

I) اللغـــة:

يرجح أن لغة المصريين القدامى جاءت من آسيا، وشاهد ذلك أن أقدم نماذج منها بينها وبين اللغات السامية شبه كبير..

II) الكتابــة:

يبدو أن أقدم الكتابات المصرية كانت تصويرية – تعبر عن الشيء برسم صورة له، فكانت كلمة بيت مثلا (وهي في اللغة المصرية بر) يرمز لها بشكل مستطيل بفتحة في أحد طوليه، ولما كانت بعض المعاني مجردة إلى حد يصعب معها تصويرها تصويرا حرفيا فقد أستعيض عن التصوير بوضع رموز للمعاني، فكانت بعض الصور تتخذ بحكم العادة والعرف للتعبير عن الفكرة التي توحي بها لا عن الشيء المصوّر نفسه، فكان مقدم الأسد يعبر عن السيادة (كما هو في تمثال أبي الهول) وكان الزنبور يعبر عن الملكية، وفرخ الضفدع عن الآلاف.

1) الكتابة الهيروغليفية:

هي صور استُخدمت كعلامات في الكتابة، وتعبر هذه الصور عن رسوم لمخلوقات حية أو أجزاء من مخلوقات حية أو أدوات، فالمصري القديم عندما فكر أن يسجل أحداثه كانت الطبيعة من حوله هي مصدر الإلهام بالنسبة له بما فيها من ظواهر طبيعية وكائنات حية، فهداه فكره إلى أن ينقل بعضًا مما في الطبيعة والبيئة المحيطة به ليعبر بالصورة عن المعاني التي يريد التعبير عنها، وجاءت العلامات ذات استخدام تصويري أي معبرة عن صورتها، فإذا ما رسم إنسانًا فإنه يقصد التعبير عن الإنسان، وكذلك الحال بالنسبة لأعضاء جسم الإنسان، أو الحيوان وأعضائه، وكذلك الطيور والزواحف والحشرات، ثم هناك الأشجار والنباتات والجبال والبحار والأنهار.

ولكن مع ذلك فالكلمات المكتوبة بالفعل بهذه الطريقة قليلة جدًّا. وبدلاً من ذلك نجد أن العلامات المصورة الهيروغليفية قد استُخدمت أيضًا للتعبير عن أصوات كلمات في اللغة المصرية القديمة، تمامًا كما هو الحال في اللغات الحالية كالعربية والإنجليزية وغيرها فهي عبارة عن حروف تشكل أصواتًا كلمات، أما الهيروغليفية فهي علامات تشكل أصوات كلمات.

2) تصنيف وترتيب الهيروغليفية:

أ) علامات الكلمة (الصور الرمزية) علامات تصويرية:

ب) علامات لفظية (صوتيـــــة):

وهي العلامات التي تدل بشكلها على معنى الكلمة وهناك لغات ما تزال تعتمد على هذه الطريقة التصويرية في الكتابة كالكتابة الصينية، بل إن بعض طرق التعبير الحديثة ما تزال تستخدم هذه الطريقة مثل "أنا♥ بلدي."

ج) محددات وعلامات صماء

3) التعبير الصوتي والعلامات المستخدمة في الكتابة المصرية القديمة:

إن القيمة الصوتية أو الدلالة الصوتية، هو التعبير أصوات الكلمات الهيروغليفية، التي لم تعتمد على كتابة حروف الحركة(a,e,i,o,u) كما هو الحال في بعض اللغات التي تستخدم الحروف الساكنة فقط، مثل "نفر" بالكسر ووجود ضمة بعد حرف النون، في القبطية "نوفر، وتنقسم العلامات المستخدمة في الكتابة المصرية القديمة من حيث الاستخدام إلى نوعين رئيسييـــن:

أ) العلامات الصوتية:"(phonograms) :

وهي العلامات التي تشير إلى صوت معين في الكلمة مثل الحروف في اللغات الحالية، وإن اختلفت عنها في تنوع نظمها فتنقسم إلى الأنواع التاليـــــة:

أولا/ علامات أحادية الصوت (Uniliteral signs) **أو العلامات الأحادية:**

مثل العديد من اللغات الحامية السامية، لا يكتب المصري الهيروغليفية جميع حروف العلة، من ناحية أخرى، يتم تمثيل بعض حروف العلة أو الحروف الساكنة التي تختلف باللهجة بنفس الهيروغليفية.

هي العلامات التي تستخدم للتعبير عن صوت واحد وهي الأكثر شيوعًا في الكتابة الهيروغليفية، مثـــال:

العلامة	القيمة الصوتية	منطوقها بالعربية	الدلالة التصويرية
	A	أ	طائر العقاب
	i	إ	بوصة مزهرة
	y	ي	شرطتان مائلتان، بوصتان مزهرتان
	a	ع	ذراع باليد وجزء من الساعد
	w	و	فرخ السمان
	b	ب	ساق بالقدم
	p	پ	مقعد
	f	ف	حية ذات قرنين (طريشة)
	m	م	بومة
	n	ن	موجة ماء
	r	ر	فم إنسان
	h	هـ	مدخل وفناء بيت
	H	ح	جديلة من الكتان
	x	خ	مشيمة الطفل
	X	غ	بطن حيوان ثديي
	s	س	منديل مطوي، مزلاج

1) طائر العقاب (نسر) = Aigle = Eagle

2) نبات بوصة المزهرة = Flowering inch plant = Plante en fleurs

5) فرخ طائر السمان = Caille = Quail chick

	k	ك	سلة من الخوص ذات أذن واحدة
	g	ج	حمالة زير
	t	ت	رغيف من الخبز
	T	ث	عقال دواب
	d	د	يد
	D	چ	ثعبان
	l	ل	أسد

ملحوظة: سُجلت أحياناً بعض العلامات الهجائية بأشكال أخرى غير السابق عرضها في الجدول، فمثلاً حرف النون قد يُرسم أيضاً بعلامة تاج الوجه البحري وإن كان هذا أكثر شيوعاً في المرحلة الحديثة للغة المصرية وحرف الميم الذي قد يُرسم بضلع الحيوان:

	n
	m

ثانيا/ علامات ثنائية الصوت (Bilateral signs) أو **العلامات الثنائية:**

وهو كما سبق ذكره استخدام رسم علامة واحدة للتعبير عن صوتين معًا، وهذه العلامات كثيرة ومتنوعة في اللغة المصرية ومن الضروري لدارس اللغة أن يحفظ قدر ما يستطيعه من هذه العلامات.

أمثلة على العلامات الثنائية:

العلامة	القيمة الصوتية	العلامة	القيمة الصوتية
	wn		**Aw**
	sA		**Ab**
	Hr		**Ax**
	pA		**gm**

العلامة	القيمة الصوتية	العلامة	القيمة الصوتية
	aA		**di**
	wp		**DA**
	wD		**TA**
	pr		**kA**
	ir		**xA**
	Hr		**wa**
	mr		**ms**
	Dw		**iH**
	in		**ib**
	tm		**Dd**

العلامة	القيمة الصوتية	العلامة	القيمة الصوتية
	Htp		iwn
	nTr		xrw
	nfr		Xnm
	anx		aSA
	HqA		wHm
	xpr		wsr
	sDm		mwt
	wab		snD
	HAt		dwA
	mAa		stp
	aHa		dSr

4) تطور المعاني ورسمها(تقسيم الكلمة لمقاطع):

تطورت هذه الطريقة تطوراً جديداً في هذا الطريق نفسه، فأصبحت المعاني المجردة التي عجزوا في بادئ الأمر عن تصويرها يعبر عنها برسم صور لأشياء تشبه أسماؤها مصادفة الألفاظ التي تعبر عن هذه المعاني، من ذلك أن صورة المزْهِر لم تكن تعني المزهر نفسه فحسب بل كان معناها أيضا طيّب أو صالح لأن منطق اسم المزهر في اللغة المصرية- نِفِر- شبيه بمنطق اللفظ الذي يعبر عن معنى طيب أو صالح- نُفِر، ونشأت من هذا الجناس اللفظي أي من الألفاظ المتفقة في اللفظ والمختلفة المعنى- تراكيب غاية في الغرابة، من ذلـك:

أ) أن فعل الكينونة كان يعبر عنه في لغة الكلام بلفظ خوبيرو، وقد عجز الكاتب المصري في أول الأمر عن إيجاد صورة يمثل بها هذا المعنى الشديد التجريد، حتى اهتدى أخيرا إلى تقطيع الكلمة إلى ثلاثة مقاطع خو- بي- رو، ثم عبرّ عن هذه المقاطع الثلاثة بصور الغربال "الذي يعبر عنه في لغة الكلام بلفظ خو" وبالحصيرة "بي" وبالفم "رو"، وسرعان ما جعل العرف والعادة، اللذان يخلعان القدسية على كثير من السخافات، هذا الخليط العجيب من الحروف يوحي بفكرة الكينونة (12)..

ب) مقاطع الكلمة وإشكالية اللفظ والمعنى:

وعلى هذا النحو عرف الكاتب المصري مقاطع الكلمة، والصورة التي ترمز لكل مقطع، ويبحثون عن الألفاظ المشابهة لهذه المقاطع نفسها في المنطق والمغايرة لها في المعنى، ويرسمون مجموعة الأشياء المادية التي توحي بها أصواتها، حتى استطاعوا في آخر الأمر أن يعبروا بالعلامات الهيروغليفية عن كل ما يريدون ، فلا يكاد يوجد معنى من المعاني لا يستطيعون التعبير عنه بعلامة أو بمجموعة من العلامات..

5) العلامات الدالة على معانـــي:

ولم يكن بين هذا وبين اختراع الحروف الهجائية إلا خطوة واحدة، وقد كانت العلامة الدالة على البيت تعني أولاً

كلمة البيت- بِرْ، ثم أصبحت رمزاً للصوت بِرْ، ثم لهذين الحرفين أياً كانت حركاتهما وفي أية كلمة جاءتا، ثم اختصرت الصورة واستخدمت للدلالة على الباء أيا كانت حركتها وفي أية كلمة كانت، ولما كانت الحركات لا تكتب عقب الحروف بل تهمل كلية فإن هذه الصورة أصبحت تمثل حرف الباء، وعلى هذا النمط عينه أصبحت العلامة الدالة على اليد (وتنطق اللغة المصرية دُتْ) تعني دُ، ثم أصبحت هي حرف د، وكذلك صارت العلامة الدالة على الفم (رُ، رَ) ثم أصبحت حرف ر، والعلامة الدالة على الثعبان هي حرف ز، وعلامة البحيرة (شي) وهي حرف ش- الخ..

6) تطور وانتشار الحروف الهجائية:

كانت نتيجة هذا التطور أن وجدت حروف هجائية عدتها أربعة وعشرون حرفاً انتقلت مع التجارة المصرية الفينيقية إلى جميع البلاد الواقعة حول البحر المتوسط، ثم انتشرت عن طريق اليونان وروما حتى صارت أثمن ما ورثته الحضارة من بلاد الشرق، والكتابة الهيروغليفية قديمة قدم الأسر المصرية الأولى، أما الحروف الهجائية فكان أول ظهورها في النقوش التي خلفها المصريون في مناجم سيناء التي يرجعها بعض المؤرخين إلى عام 2500 ق.م وبعضهم إلى عام 1500 ق.م .

7) الخلط بين الحروف والصور في التعابير ونقل المعاني:

لم يتخذ المصريون لهم كتابة قائمة كلها على الحروف الهجائية وحدها لحكمة في ذلك أو لغير حكمة، بل ظلوا إلى آخر عهود حضارتهم يخلطون بين حروفهم وبين الصور الدالة على الرموز وعلى الأفكار وعلى مقاطع الكلمات، ومن أجل هذا صعب على العلماء أن يقرءوا الكتابة المصرية، ولكن من السهل علينا أن نتصور أن هذا الخلط بين الكتابة بالطريقة المعتادة وبطريقة الاختزال قد سهل عملية الكتابة للمصريين الذين كانوا يجدون فسحة من الوقت لتعلمها، وإذ كانت أصوات الكلمات الإنجليزية لا تعد مرشداً أميناً لهجائها، فإن الشاب الذي يريد أن يتعلم أساليب الهجاء الإنجليزية يجد فيها من الصعوبة ما كان يجده الكاتب المصري في حفظ الخمسمائة رمز هيروغليفي، ومعانيها المقطعية، واستعمالاتها حروفا هجائية، ومن أجل هذا نشأ شكل سريع سهل من أشكال الكتابة استخدم في الكتابات العادية، واحتفظ بالطراز الأول منها ليستخدم فيه "النقوش المقدسة" على الآثار (13)..

8) مرحلة الكتابة الهيراطيقية:

وإذا كان الكهنة وكتبة الهياكل هم أول من مسخ الكتابة الهيروغليفية على هذا النحو فقد أطلق اليونان عليها اسم الكتابة الهيراطية(المقدسة)، ولكنها سرعان ما عم استخدامها في الوثائق العامة والتجارية والخصوصية..

9) مرحلة الكتابة الديموطيقية:

ثم نشأ على يد الشعب نفسه نمط آخر من الكتابة أكثر من النمط الثاني اختصارا وأقل منه عناية، ولذلك سمي بالكتابة الديموطية (الشعبية) لكن المصريين كانوا يصرون على ألا ينقشوا على آثارهم إلا الرموز الهيروغليفية الفاخرة الجميلة- ولعلها أجمل نمط من الكتابة عرف حتى الآن.(**الشكل.3/ تعلم الحروف**).

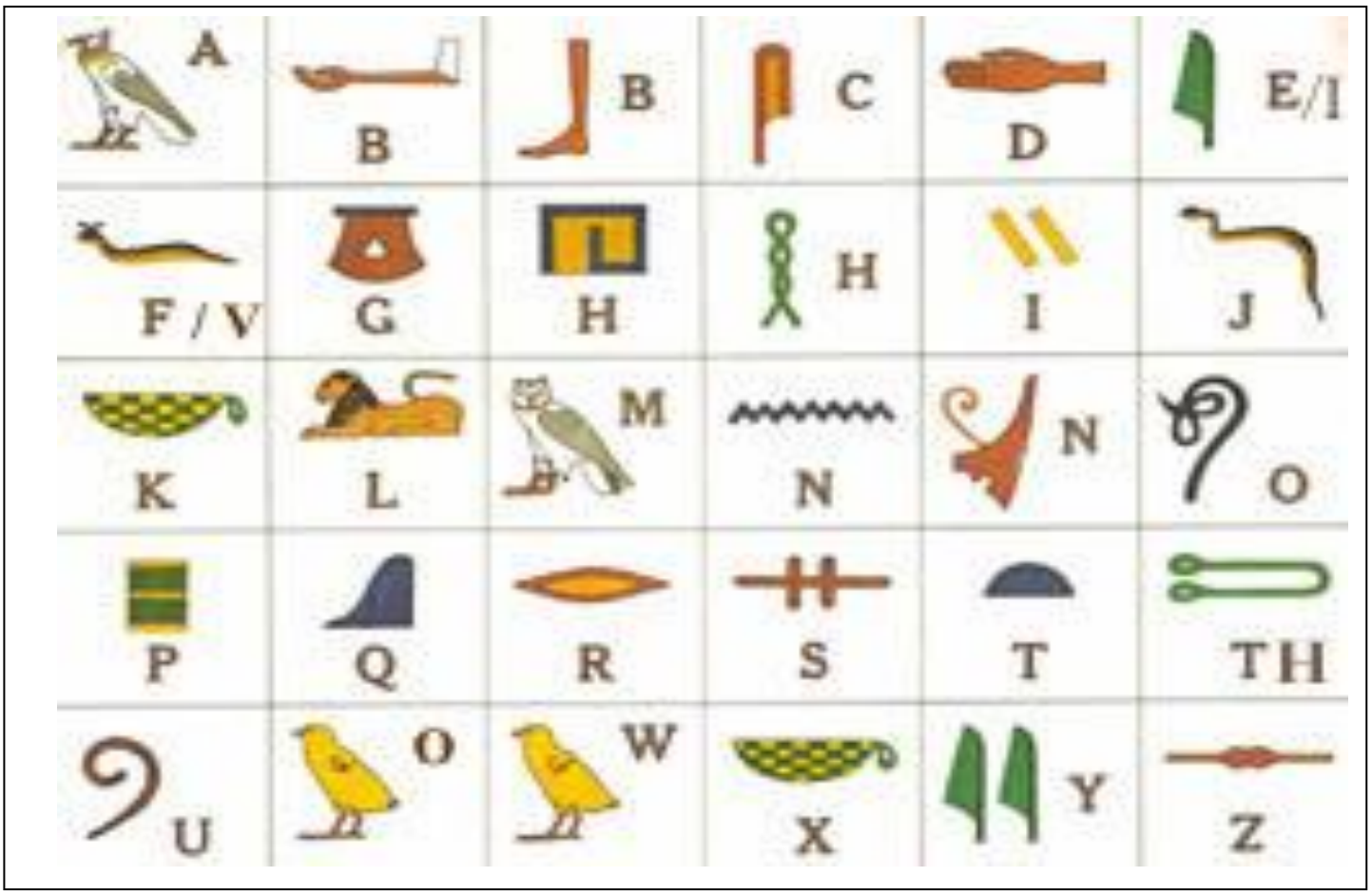
A
B
B
C
D
E/I
F / V
G
H
H
I
J
K
L
M
N
N
O
P
Q
R
S
T
TH
U
O
W
X
Y
Z

الخاتمـــة

كان النظام التعليمي في الحضارات القديمة أحد الاهتمامات التي شغلت الملوك والأسر، وذلك لارتباط التربية والتعليم بإدارة الدولة، وقيادة الجيوش، وتوجيه المعابد، والقيام بخدمة الآلهة، وتدوين النذر والنصوص، وكتابة الرسائل للملوك الأجانب، وتعليم النشئ، ومن هنا كانت دراستي حول موضوع (واقع وتطور المظهر التعليمي في الحضارات القديمة – نموذج اللغة والكتابة في الحضارة المصرية-) كانعكاس لتلك المظاهر..

ومن خلال الدراسة تبين مدى أهمية التربية ومؤسسات التعليم في مصر القديمة، من خلال احترام الفراعنة للعلم والاهتمام به، والنهضة بالمدارس النظامية، ووضع مخطط لتدرج التمدرس وفقا للسن، إضافة لتصميم المنهاج، ولالتزام بالانضباط،وتحديد المواد المقررة، إضافة كذلك لطرق التعليم التي يقوم بها المعلمون والحكماء، وتوصلت في الدراسة لمعرفة ما تعلق بالتربية والتعليم من أدوات ووسائل تم توظيفها من قبل المشرفين والقائمين بهذه المهمة المقدسة، مثل أدوات الكتابة، وقد حرص الفراعنة على تعليم وتدريب الأطفال لدى جميع الطبقات، ولذلك نجد مناهج وبرامج التعليم المصري تتنوع عن كثير من غيرها من الحضارات القديمة، وهذا ما لمسناه من اهتمامهم بمكانة المتعلمين الاجتماعية، ومن أهمية الكاتب التعليمية والتربوية في المجتمع المصري، وخاصة في مدارس الكهنة المميزة..

لقد أبدع المصريون في بناء وتنظيم المدارس ووضع مواد التعليم، وترسيخ قيم النظام والطاعة في المدارس الفرعونية،وبناء مدارس لتخريج إطارات الدولة مثل مدارس التكوين والتوظيف للنخبة، وكل ما يخدم العلم وينشره مثل استعمال الورق وأدوات الكتابة،وحبر الكتابة والقلم والتلوين..

كما استنتجت من خلال دراستي الموضوع اهتمام المصريين القدامى باللغة والكتابة، حيث أبدعوا في وضع القواعد ونظم الصوت والتصنيف في بناء الجمل وإعرابها..، كما أبدعوا في التفنن في الكتابات التصويرية، وتقديسها باعتبارها كتابات دينية ترافق الفراعنة في قبورهم وجدران الأهرامات، وتدون بها كتب الموتى، ولذا فقد تفنن فيها الحكماء، وما زال العلماء يفكون رموزها إلى يومنا، والدليل على ذلك تطور فترت الكتابة من نظام الكتابة الهيروغليفية، إلى نظام الكتابة الهيراطيقية، ثم نظام الكتابة الديموطيقية، وأخيرا نظام الكتابة القبطية..

هوامـــــــش

(1) من أهم مظاهر براعة الفراعنة في علوم الهندسة نجـــــد:

أ) وضع مبادئ في علم الهندسة بنوعيها (المستوية plane geometry)، و(الفراغية solid geometry)، قبل المملكة القديمة(2700- 2200 ق.م)

ب) وضع تصميمات للمعابد والمقابر وتوزيع المساحات الموزعة على المزارعين في المملكة الوسطي (2200- 1700 ق.م)، ومن خلال ما تم تسجيله في برديه أخمس وبرديه موسكو والعديد من البرديات الأخرى

ج) وضع أنظمة القياس وحدات الطول (كالذراع المصري الملكي) لقياس الأبعاد والطول (واحد ذراع يساوي 525ملم)، والذي يقسم إلي سبع وحدات متساوية سميت بالأصبع (واحد أصبع =75ملم)، والأصبع مقسم إلى أربع وحدات متساوية سميت بالعقلة أي: واحد عقله = 18.5 ملم).

د) اكتشاف نظريه المثلث القائم قبل فيثاغورث..، أنظـــــر: https://www.facebook.com/YouthEngineersCommittee/

BCE), although these civilizations differed, they shared monumental literary achievements, the need for the perpetuation of these highly developed civilizations made writing and formal.

(2) Nobuo Shimahara (Professor of the Anthropology of Education, Rutgers University, New Brunswick, New Jersey. Author of Adaptation and Education in Japan and others), Education in the earliest civilizations, Encyclpaedia Britanica,

(3) IBID

(4) I. E. S. Edwards, N. G. L. Hammond, C. J. Gadd, The Cambridge Ancient History, Cambridge University Press 1975; P. 527.

(5) Katheryn A. Bard, Encyclopedia of the Archaeology of Ancient Egypt, Routledge 1999, P.886

(6) عبد الحليم نور الدين، التربية والتعليم في مصر القديمة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص. 13 وما بعدها.

(7) أحمد بدوي ومحمد جمال الدين مختار، تاريخ التربية والتعليم في مصر، ج. 1، العصر الفرعوني، المكتبة العربية، عدد. 157، القاهرة، 1974، ص ص. 217-229.

(8) الباحث الأثري أحمد عامر العربية في حوار له مع العربية. نت، أ

(9) أحمد بدوي ومحمد جمال الدين، تاريخ التربية والتعليم في مصر، ج. 1، العصر الفرعوني، المكتبة العربية، عدد. 157، القاهرة، 1974، ص ص. 217 .229

(**1**) **هيلموت برونر، التربية والتعليم عند المصريين القدماء، ترجمة: مصطفى عبد الباسط، مراجعة: محمد أبو حطب، ص. 15 وما بعدها.**

(11) Comme beaucoup d'autres langues chamito-sémitiques, l'égyptien hiéroglyphique n'écrit pas toutes les voyelles, par ailleurs, certaines voyelles ou consonnes qui diffèrent selon les dialectes sont représentées par le même hiéroglyphe.

(12) عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، الخليج العربي للطباعة والنشر، الطبعة. 2، القاهرة، 1998، ص. 13 وما بعدها.

(13) إسراء محمد عبد ربه، الكتابة المقدسة"الهيروغليفية"، مجلة كان التاريخية، العدد3ن السنة 2، ص ص. 55، 58. ؛ علي مهران هشام، اللغة الهيروغليفية المصرية القديمة،